( 5 )

# غلطة العمر

استيقظت في الصبح الفتيق لقس النفس، يفتك بي شجن بليغ وتقاذفني لجج عاتية من الهواجس .
وتأملت زوجتي الشابة التي رقدت بقربي وقد أضاءت ثغرها ابتسامة زادتها ألقا
و جمالا .. وثارت بي موجة من الغضب الهائل علي هذا الجمال الذي يغط في نومة وادعة وهذا الغضب نابع من إحساسي الدائم بانها سبب ابتعادي عن أولادي .. ورأيتني أهزها بعنف وفتحت عينيها الكبيرتين وقد جال فيهما الرعب .. وعندما أبصرتني سرت بها الطمأنينة ثم قالت : صباح الخير يا حبيبي .
ولكنني شذرتها بقسوة ..
وقالت ما بك يا حبيبي؟
لماذا هذا الحزن مرسوم علي وجهك؟
لم أنطق ببنت شفة، غير أنها رشقتني بنظرة كاوية من عينيها الزرقاوين وضمتني الي صدرها، فسرت في عروقي رائحة هذا الجسد البض الذي طالما أجج بي كل الرغبات الملتهبة ولكنني تمالكت نفسي وتملصت منها مقاوما اغراء هذا الحسن التياه الذي خلب لبي وتوجهت الي النافذة أتطلع الي الاشجار في الحديقة وقد تواثبت عليها العصافير، تستقبل الضياء وترتل له أغانيها الحلوة .
واندفعت ورائي، طوقتني بذراعيها وهى تقول :
ماذا بك عادل؟
ليس بخير ..

**لماذا.. انت ..**
**وقاطعتها بغلظة وصرخت في وجهها:**
**ان زواجنا غلط يا عبير .**
**فاطلقت عبير ضحكة عالية، فيها أنوثة طاغية وأشحت بوجهي عنها**
**ولكنني أحبك يا عادل .**
**انني أتعذب .. فارحميني ..**
**وماذا تريد مني؟**
**الطلاق ..**
**هكذا بكل بساطة بعد أن كافحنا طويلا حتي توجنا حبنا بالزواج؟**
**كان زواجنا خطأ .. ويجب أن نصلحه ..**
**معني هذا أنك أصبحت لا تحبني.**
**الحقيقة .. انني مازلت أحبك .**
**كيف تحبني وتريد الطلاق؟**
**لراحه نفسي .**
**وهل أزعجتك في شئ؟**
**انني أتعذب .. وحياتي أصبحت لا تطاق .. وضميري يلهبني بسياط من نار .. و .. واردت الأسترسال ولكنها سارعت وشدتني إليها ثم قبلتني في شفتي شعرت بنار القبلة تضطرم في جسدي، فذهلت عن كل شئ ..**
**وانجذبت اليها أمرغ وجهي في صدرها الناهد الذي يزري بياضه بالمرمر .**
**واحسست بهمود هذه الفورة التي انتابتني وارتعت في جنة هذا الجمال .. وتمتمت : انني سعيد ..**
**سامحينى يا عبير .**
**سامحتك يا حبيبي ..**
**انني مستعد أن أضحي حياتي في سبيلك .**

**لا أطلب إليك شيئا سوى أن تظل تحبني .**
**أعاهدك علي الحب الدائم ..**
**وأندفعت إليها كالمجنون أغمرها بسيل دافق من قبلاتي النهمة التي لا ترتوى من نضارة هذا الجسد الذى سكبه الله في أجمل تكوين، جلسنا نتناول إفطارنا، وقد تبددت هذه الوحشة الكئيبة التي عذبتني .. وماذا أريد من الدنيا سوى أن تكون عبير بقربي تزقني حبها وتفيض علي من هذا الجمال التياه تلك الكنوز الشهية التي لا أعرف الي الارتواء منها سبيلا ؟ ..**
**وارتدت ثيابي سعيدا، وخرجت الي محلي الكبير أبيع وأشتري وغمرت عمالي بابتساماتي**
**ولا طفتهم بالحديث، فقد كنت سعيدا حقا، تجتاحني نشوة قديرة .. وجلست في مكتبي أحتسي قهوتي، أتلذذ بنفث من الدخان من " سجارتي " وأطالع صحف الصباح وفجأه ولا أدرى كيف هاجمتني الوساوس وضربتني أشباح سود وتواثبت أمامي رؤى مكفهرة ، فكدت أختنق ..**
**وحاولت التسرية عن نفسي بالطواف داخل محلي الكبير وملاحظة رواده، غير أن الضيق الشديد جثم علي برهقه، حتي كادت روحي تزهق .. ولكن هذا الضيق لم يفارقني بل ازداد حتي تمنيت الموت للخلاص منه ..**
**وفجأه وجدت نفسي بالقرب من بيت زوجتي التي طلقتها للاقتران بعبير التي سبهت فؤادي .. لقد شردتها مع أولادي الخمسة حتي يخلو لي الجو معها ..**
**وما حيلتي .. وقد فتنتني بشبابها و جمالها وسحرتني برقتها ..**
**و خفق لها قلبي وعرضت عليها الزواج، فوافقت واشترطت أن أطلق زوجتي وأعماني الحب، فاستجبت لها وهدمت البيت الجميل الذى شيدته على دعائم الحب الوثيق في سبيل نزوة طارئة ..**

ومن الطبيعي أن عبير لم تتزوجني حبا بي، لأنني ناهزت الأربعين من عمرى وهي لا تزال في العشرين تتفجر شبابا وأنوثة .. وعذبني الشك لأول وهلة في أنها ارتضت بي زوجا لها رغبة في مالي ..
غير أنها أكدت لي مرارا أنها أحبتني ووجدت بي الزوج المنشود حتى شعرت بالطمأنينة وأزدهي بي الفرح لا استطاعتي جذب فتاة في مثل هذا الجمال ..
ولكنني بعد الزواج انصب أهلها الفقراء علي كالويلات، فلا هم لهم سوى أخذ المال مني ..
واذا أمسكت يدي عنهم نفرت عبير، ولوت بوزها وأذاقتني المر من هجرها ..
وكثيرا ما كنت أحتقر نفسي لإهمالي أطفالي، وتنكري لأمهم التي أخلصت لي الحب في أيام الضراء .. غير أن رنوة من عيني عبير الزرقاوين كفيلة بتبديد وخز الضمير الذى كان يلاحقني أحيانا ويسمم حياتي .
وازدحمت بي هذه الافكار وأنا واقف أمام بيت مطلقتي التي لم أرها بعد زواجي من عبير.
واندفعت الى الباب أرن الجرس وأنا مبهور الأنفاس وفتحت هي الباب ولما رأتني كادت تشهق ورجعت الي الوراء قليلا وقد ظللتها سحابة من الغم ولكنها قالت بلهجة مؤدبة : أهلا وسهلا . تفضل .
ودخلت وقدماي تصطكان وقلبي راعش ، تهالكت علي أقرب كرسي، استطعت أن أرفع عيني اللتين اتقد فيهما الخجل ..
واستطعت أن أقول : كيف حال الأولاد ..
بخير
وأين هم الآن ؟
في بيت خالهم .
كلهم ؟

**ما عدا شيماء**
**وشيماء أحب أولادي الى نفسي لانها بكري . وهي في العاشرة من عمرها، أسبغ الله عليها الجمال ومتعها بالذكاء وخفة الروح .**
**ورفرف قلبي طربا لانني**
**سأراها، ولهذا سارعت الي القول : أين هي الآن ؟**
**في غرفتها .. نائمة .**
**تنام في مثل هذه الساعة ! .**
**لانها مريضه .**
**و صعقت و صرخت : مريضة .. بماذا ؟**
**بالتفوئيد . ولهذا عزلت اخوتها عنها في بيت خالهم .**
**ولماذا لم تخبريني ؟**
**وماذا يهمك من أمرها ؟**
**انها فلذة كبدي ؟**
**وهل تذكرتها مرة واحدة منذ زواجك ؟ ..**
**وكدني عرق بارد واحتقرت نفسى ولعنت الساعة التي انقدت فيها لاهوائي الجامحة .. واندفعت كالاعصار المجنون الى غرفتها .. وانكببت عليها أقبلها وأضمها الي صدري .. وفتحت عينها الذابلتين وتمتمت .. بابا ..**
**وكادت روحي تسيل مع هذا النداء الحبيب وقلت :**
**نعم . بابا . يا حبيبتي ..**
**وأغمضت عينيها ثانية، غاص قلبي بين جنباتي ووضعت يدي علي جبهتها المحترقة وتمنيت لو أن الجحيم تتلقفني كفاره عن ذنوبي مع هذا الملاك الوديع .**
**وقلت : ألم تأت لها بالطبيب ؟**
**خالها جلب لها الطبيب .**
**ولماذا خالها ؟**

**وأنى لنا لندفع أجر الطبيب وثمن الدواء ؟ ..**
**آه لو تبتلعني الأرض، وتريحني من وجودي .**
**وقلت أخيرا : لماذا لم ترسلي أحد الأولاد الي لأحضر لها الطبيب ؟**
**حاولت .. ولم أوفق**
**كيف ؟**
**طالبت من محمد أن يذهب اليك، فرفض .**
**لماذا ؟**
**قال لي : لو أن أبي يريد مساعدتنا لما تركنا .**
**وعذبتني آلام لا قبل لإنسان بها .**
**وغيرت بي هنيهات كنت بها فريسة للشقاء الدامي . وفجأة فتحت شيماء عينها الواهنتين وهمهمت : بابا .. أنا أحبك لا تتركني .**
**لن أتركك ابدا يا شيماء .**
**وأمسكت بيدي وأحسست بسعادة لا حد لها وقالت اين كنت غائبا كل هذه المدة ؟**
**كنت في سفر ..**
**ولكن أمي قالت أنك تركتنا الى الابد ..**
**غير صحيح .. لانني عدت إليكم .**
**ولن تفارقنا بعد الآن ؟**
**يستحيل أن أفارقكم لحظه واحدة .**
**وأغمضت عينها، قد طاقت علي ثغرها ابتسامة، أضاءت وجهها بنور وهاج شع في نفسي حبا وأومأت الي أمها لتخرج وانسحبنا برفق بعد أن دثرتها باللحاف وطبعت علي جبهتها قبله أودعت فيها كل حناني وحبي واشتياقي.**
**وعندما استقر بنا المقام في حجرة ثانية لم أدع نفسي فريسة للعواطف المتضاربة،**
**قلت فورا:**

**يا صابرين .. جئت أطلب منك الصفح عن جريمتي وأطرقت وقد شحب وجهها قليلا .**
**واستطردت قائلا :**
**أتضرع اليك باسم ذكرياتنا المشتركة وعشرتنا الطويلة، أن تغفري لي .**
**ونظرت الي، وقد ماج في عينها طيف من الالم المكبوت، حتي تجسدت آمالي لوعه خرساء وهززتها برفق وهتفت : قولي كلمه واحدة تجعليني بها**
**أسعد مخلوق .**
**وما الكلمة التي تريدني أن أقولها؟**
**قولي : وافقت**
**علي ماذا**
**قولي انك وافقت نرجع ونعيش تحت سقف بيت واحد.**
**طيب وافقت.**
**وقبلت يديها وبللتها بدموعي وتهدج صوتي : أنت ملاك، انك أنبل انسانة، ولقد أجرمت كثيرا بحقك، لكنني سأعوضك، بحبي واخلاصي عما سببته لك من آلام.**
**ما كل هذه العواطف الآن .**
**وضح لي الطريق .. ان زواجي الجديد كان جريمة بحق نفسي وحقك وحق أولادنا**
**مع هذا تزوجت .**
**أخبرتك أنني اقترفت جريمة وأنا شديد الندم ..**
**وخرجت من منزل أم أولادي وانا مصمم علي إنهاء زواجي من عبير.**
**وأسرعت الى عبير وكانت في أكمل زينتها ، تتهيأ للخروج**
**وقالت : أنا ذاهبة الى الخياطة ..**

**اذهبي ولا تعودي.**
**واكفهرت سحنتها ورجفت أهدابها وتمتمت : لاشك أنك تمزح.**
**ابدا.**
**ماذا تعني؟**
**اعذريني ياعبير .. زواجنا غلط .**
**وما الغلط في زواجنا؟**
**عندما اترك أم أولادي التي كافحت معي طيلة السنوات السابقة بلا ككل ولا تعب يصبح زواجنا غلط، عندما أترك أولادي دون ان أعتني بهم يصبح زواجنا غلط، عندما أترك احد غيري ينفق علي أولادي يصبح زواجنا غلط .**
**ماهذا الكلام الفارغ؟**
**أنتي طالق ياعبير .**
**وزمت ما بين حاجبيها بالشتائم ..**
**وهرعت الى أم أولادي وأعدتها الي عصمتي وتدافعت بي الرحمة والحب والحنين**
**وأنا أضم أولادي الي صدري .**